مملكة الوحدة العربية، فإن المطامع الصهيونية التي تسربت عنها الأنباء، لم تظل، بغير تأثير على عرب فلسطين، لوقت طويل. وإذا كان من الصحيح أن الوعي الفلسطيني، لدرجة الخطر، لم يصل إلى إدراك حجمه الفعلي، فإن قادة الحركة العربية في سوريا، والفلسطينيون جزء منهم، لمسوا، على نحو أولي، أثر هذا الخطر على مطلبهم الرئيسي، آنذاك، وهو وحدة البلاد المشرقية أو، على الأقل، وحدة البلاد السورية. وهكذا نصت مقررات المؤتمر السوري الأول، الذي انعقد في دمشق في حزيران (يونيو) ١٩١٩، على التمسك بوحدة البلاد السورية، بحدودها الطبيعية، وبضمنها فلسطين، كما نصت على رفض «مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم»(٨).

وخطا المؤتمر السوري الذي انعقد في دمشق، في شباط (فبراير) ١٩٢٠، خطوة أخرى، بتفسير سبب هذا الرفض العربي، للهجرة اليهودية، وذلك «لخطرها على كيانهم السياسي». كذلك أعلن المؤتمر عزمه على عدم الاعتراف، بأية حكومة وطنية في فلسطين، قبل أن تعترف الحكومة المحلية بمطلبي الفلسطينيين اللذين قدموهما للجنة الأميركية، وهما عدم فصل فلسطين عن سوريا، ومنع الهجرة اليهودية»(٩).

التواطؤ البريطاني ــ الصهيوني

أما صلة الخطر الصهيوني بسياسة بريطانيا الحليفة فإن الفلسطينيين أحيطوا علماً بها، رسمياً، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠. وقد تولى الجنرال بولز، مدير إدارة بلاد العدو المحتلة في القدس، إعلام الأعيان ورؤساء الطوائف الفلسطينية، بأن مجلس الحلفاء «قرر انتداب دولة على فلسطين، وأن يدمج وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في معاهدة الصلح مع تركيا»، وزادهم علماً بأن هذا الانتداب «عُرض على بريطانيا فقبلته». ثم تلا الجنرال البريطاني، على مسامع ممثلي الرأي العام الفلسطيني، نص وعد بلفور، وحثهم على إنهاء الخلافات السياسية والاضطرابات، مؤكداً أن «على جميع الفلسطينيين الحقيقيين أن يتبارروا في خدمة فلسطين وخير الأجيال المقبلة»(١٠). هذا الاعلان، الذي عزز معلومات توافرت قبله، وضع الوطنيين الفلسطينيين، وجهًا لوجه، أمام الخطر الذي لم يعد من الممكن الحديث عنه بصيغة: «تناهى إلى مسامعنا». وقد جاء الاعلان في وقت كانت فيه المعلومات التي سبقته، وحدها، كافية لجعل «الشعور ضد الصهيونية، في فلسطين وسوريا، بالغاً أشده وليس من السهل الاستخفاف به»، كما وصفه تقرير لجنة التحقيق الأميركية التي زارت فلسطين، بتكليف من الرئيس ولسن في منتصف ١٩١٩(١١). وكان هذا الاعلان كافياً، حتى لو لم تتوافر معلومات أخرى، لتأكيد الاقتران بين الخطر الصهيوني وسياسة بريطانيا؛ ومع ذلك ظل رد فعل الوطنيين الفلسطينيين ضد بريطانيا، أقل حدة بكثير من رفضهم للصهيونية؛ في حين بقيت المفاهيم العربية حول الصهيونية قاصرة عن إدراك طبيعتها.

لقد استند الرفض العربي للصهيونية، منذ البداية، بما هي خطر قادم، إلى إحساس عفوي بهذا الخطر، ولم يرتق، في ذلك الوقت المبكر من بداية الغزو الصهيوني المؤيد من بريطانيا، إلى إدراك أبعاده القادمة وطبيعة الصلة بين الصهيونية والامبريالية